المبحث الثاني والعشرون: الرحمة

وسأقتصر في هذا المبحث على رحمة النبي ؛ لأنها جامعة مانعة:

أولاً: عموم رحمته ﷺ للإنس والجن، والمؤمنين والكافرين والحيوان:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]، فالمؤمنون به ﷺ قبلوا هذه الرحمة، وشكروها، وغيرهم كفرها، وبدَّلوا نعمة الله كفراً، وأبوا رحمة الله ونعمته[2]. قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف»[3].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «أولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي رُوي عن ابن عباس: وهو أن الله أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة لجميع العالم: مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء به من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله»[4].

ومما يدل على أن رحمة النبي ﷺ عامة للعالم؛ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! ادعُ على المشركين، قال: «**إني لم أُبعث**

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، للسعدي، ص٥٣٢ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان، ٥٥٢/١٨ .

(٤) جامع البيان للطبري، ٥٥٢/١٨ .

لَعَّاناً وإنما بُعِثْتُ رحمةً»[1].

وحديث حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «أيُّما رجل من أمتي سببته سبةً أو لعنته لعنةً في غضبي؛ فإنما أنا من ولد آدم، أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة»[2].

وجاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ»[3].

وقد قال ﷺ : «أنا محمد، وأحمد، والمُقَفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»[4].

ثانياً : الأمثلة التطبيقية وأنواعها :

النوع الأول: رحمته ﷺ لأعدائه :

المثال الأول: رحمته ﷺ لأعدائه في الجهاد :

وقد شملت رحمته ﷺ الأعداء حتى في قتالهم ومجاهدتهم؛ فإن قوة الجهاد في سبيل الله تعالى في شريعته ﷺ لها ضوابط ينبغي أن

---

(١) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم ٢٥٩٩ .

(٢) أبو داود، كتاب السنة، باب النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ، برقم ٤٦٥٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١٣٤/٣ .

(٣) رواه ابن سعد، ١٩٢/١، وابن أبي شيبة ٥٠٤/١١، والحاكم، ٣٥/١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة بطرقه، برقم ٤٩٠ .

(٤) مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، برقم ٢٣٥٥ .

يلتزم بها المجاهدون في سبيل الله – تعالى – ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[1]، فيدخل في ذلك ارتكاب المناهي: من المثلة، والغلول، وقتل النساء، والصبيان، والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال، والرُّهبان، والمرضى، والعُمي، وأصحاب الصّوامع؛ لكن من قاتل من هؤلاء أو استعان الكفّار برأيه قتل[2].

ويدخل في ذلك قتل الحيوان لغير مصلحة، وتحريق الأشجار، وإفساد الزّروع والثّمار، والمياه، وتلويث الآبار، وهدم البيوت[3]، وقد «وُجدت امرأةٌ مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ ، **فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان**»[4]؛ ولهذا كان ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أوسريّة أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «**اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تُمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال...**»[5]، ثم بيّنها ﷺ كالآتي:

(أ) الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين.

(ب) فإن أبوا الإسلام دعاهم إلى بذل الجزية.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٠ .

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ١٣/١٧٥-١٧٩.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/٢٢٧ وعناصر القوة في الإسلام ص٢١٢.

(٤) البخاري،كتاب الجهاد والسير،باب قتل الصبيان في الحرب،برقم ٣٠١٤، ورقم ٣٠١٥.

(٥) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ٣/١٣٥٧، برقم ١٧٣١.

(ج) فإن امتنعوا عن ذلك كله استعان بالله وقاتلهم[1].

المثال الثاني: وفاؤه بالعهد مع أعدائه ﷺ :

من أعظم الضوابط في الجهاد الوفاء بالعهد وعدم الخيانة؛ لقول الله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾[2].

فإذا كان بين المسلمين والكفار عهد أو أمان فلا يجوز للمسلمين الغدر حتى ينقضي الأمد، فإن خاف المسلمون من أعدائهم خيانةً، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة، فيحنئذٍ يخبرهم المسلمون أنه لا عهد بيننا وبينكم حتى يستوي علم المسلمين وعلم أعدائهم بذلك.

ودلّت الآية على أنه إذا وُجِدَت الخيانة المحققة من الأعداء لم يحتج أن يُنبذ إليهم عهدهم؛ لأنه لم يُخَف منهم بل عُلم ذلك.

ودلّ مفهوم الآية أيضاً أنه إذا لم يُخف منهم خيانة؛ بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته[3].

ولهذا قال سليم بن عامر:كان بين معاوية وبين الروم عهد،وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى عهدهم غزاهم،فجاء رجل على

(١) انظر المرجع السابق ١٣٥٧/٣، وزاد المعاد ١٠٠/٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣٢١/٢، وتفسير السعدي ١٨٣/٣-١٨٤.

فرس أو بِرْذَونٍ وهو يقول:الله أكبر،وفاء لا غدر.فنظروا فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية ﷺ فسأله، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان بينه وبين قومٍ عهدٌ فلا يشدُّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضيَ أمَدُها أو ينبذ إليهم على سواء**» فرجع معاوية[1]. وهذا كلُّه يدلُّ على أن الهدف والمراد من الجهاد هو إعلاء كلمة الله ﷻ.

المثال الثالث: دفعه ﷺ نزول العذاب على أعدائه :

ومن الأمثلة العظيمة على هذه الرحمة التي شملت حتى أعدائه ﷺ قصّته مع مَلَك الجبال حينما بعثه الله إليه؛ ليأمره بما شاء عندما آذاه المشركون، فجاء ملك الجبال وسلَّم عليه وقال: (يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربّي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت[2]؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين) [والأخشبان جبلان عظيمان في مكة، تقع مكة بينهما]، فقال رسول الله ﷺ لملك الجبال: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبُد الله وحده لا يُشرك به شيئاً**»[3].

المثالث الرابع: سلامة قلبه ﷺ، وحُبّه الخير لليهود وغيرهم:

ومن الأمثلة العظيمة لرحمته ﷺ حديث أنس ﷺ قال: (كان غلام يهوديٌّ يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه

(١) أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه ٨٣/٣ (رقم ٢٧٥٩)، وانظر: صحيح سنن أبي داود ٥٢٨/٢، والترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الغدر (رقم ١٥٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) استفهام، أي فمرني بما شئت، انظر: فتح الباري، ٣١٦/٦ .

(٣) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، برقم ٣٢٣١، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، برقم ١٧٩٥ .

فقال له: «**أسلم**» فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال: له أطع أبا القاسم، فأسلم، [وفي رواية النسائي فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله]، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**» [وفي رواية أبي داود: **أنقذه بي من النار**][1]. وغير ذلك كثير.

النوع الثاني: رحمته ﷺ للمؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[2]، فقد بعث الله تعالى النبي ﷺ للناس كافة، وهو من أنفس المؤمنين خاصة، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، وهو في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم، ويشق عليه الأمر الذي يشق عليهم، ويحب لهم الخير، ويسعى جاهداً في إيصاله إليهم، ويحرص على هدايتهم إلى الإيمان، ويكره لهم الشر، وهو شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم؛ ولهذا كان حقُّهُ مُقدّماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره وتوقيره[3].

وقال الله ﷻ: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾[4]، أقرب ما للإنسان نفسه، فالرسول أولى به من نفسه؛ لأنه ﷺ بذل لهم النصح والشفقة والرأفة؛ فلذلك وجب على العبد إذا

---

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ برقم ١٣٥٦، وكتاب المرضى، باب عيادة المشرك، برقم ٥٦٥٧، وانظر: فتح الباري، ٣/٢١٩ .

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٣٥٧ .

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦ .

تعارض مراد نفسه مع مراد الرسول ﷺ أن يُقدّم مُراد الرسول ﷺ ، وأن لا يُعارض قول الرسول ﷺ بقول أحد من الناس، كائناً من كان، وأن يُقدّم محبّته على محبّة الناس كلهم[1].

وقال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2]. وقد قال ﷺ: «**اللَّهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**»[3]، وقال ﷺ : «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاءً فعلينا قضاؤُهُ، ومن ترك مالاً فهو لورثته**»[4].

النوع الثالث: رحمته ﷺ للناس جميعاً :

١ - عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يَرحَم الناس لا يَرحَمُه الله ﷻ**»[5].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**لا تُنزعُ الرحمة إلاّ من شقي**»[6].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٦٥٩ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩ .

(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم ١٨٢٨ .

(٤) البخاري، كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: «من ترك مالاً فلأهله»، برقم ٦٧٣١، ورقم ٢٢٩٨، ومسلم، كتاب الفرائض، باب من ترك مالاً فلورثته، برقم ١٦١٩ .

(٥) مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك، برقم ٢٣١٩ .

(٦) الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النفقة على البنات =

٣ - وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء، الرَّحِمُ شُجنةٌ من الرحمن، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله**»(١).

النوع الرابع: رحمتهُ ﷺ للصبيان :

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء شيخٌ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يُوسِّعوا له فقال النبي ﷺ : «**ليس مِنَّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقِّرُ كبيرنا**»(٢).

٢ - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ : «**ليس مِنَّا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا**»(٣).

النوع الخامس: رحمتهُ ﷺ للبنات :

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان فيتقي الله فيهنَّ ويحسن إليهنَّ إلا دخل الجنة**»(٤).

= والأخوات، برقم ١٩٢٣، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/٣٥٠ .

(١) الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات ، برقم ١٩٢٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/٣٥٠ .

(٢) الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات ، برقم ١٩١٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/٣٤٨ .

(٣) الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات برقم ١٩٢٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/٣٤٩ .

(٤) أبو داود، كتاب الأدب، باب في فضل من عال اليتامى، برقم ٥١٤٧، والترمذي، كتاب البر =

٢ - وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**مَن عال بنتين أو ثلاثاً، أو اختين أو ثلاثاً حتى يَبِنَّ**[١] **أو يموت عنهن كُنتُ أنا وهو في الجنة كهاتين**» وأشار بأصبعه الوسطى والتي تليها[٢].

النوع السادس: رحمتهُ ﷺ للأيتام :

١ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة**» وأشار مالك أحد رواة الحديث بالسبابة والوسطى[٣].

٢- عن أبي هريرة ﷺ : أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: «**امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين**»[٤].

النوع السابع: رحمتهُ ﷺ للمرأة والضعيف :

١ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**اللَّهم إنِّي**

= والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات، برقم ١٩١٢ و١٩١٦، وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٤٢٩/٢: «صحيح لغيره».

(١) حتى يَبِنَّ: أي يتَزَوَّجْن. يقال أبان فلانٌ بنْتَه وبَيَّنَها إذا زوّجها. النهاية في غريب الحديث والأثر،١ / ٤٥٤، مادة (بين).

(٢) أحمد في المسند، ٤٨١/١٩، برقم ١٢٤٩٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٤٢٨/٢ .

(٣) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، برقم ٢٩٨٣، والبخاري من حديث سهل بن سعد برقم ٦٠٥ .

(٤) أحمد، ٥٥٨/١٤، برقم ٩٠١٨، وقال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب، ٣٢٣/٣: ((رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)) وحسّنه، الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٦٧٦/٢. وقد ضعّفه أصحاب الموسوعة الحديثية في تحقيق مسند الإمام أحمد ٢١/١٣، برقم ٧٥٧٦، ولفظه: ((إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم)) وفي ٥٥٨/١٤، برقم ٩٠١٨، بلفظ ما في متن هذا البحث.

أُحَرِّج[1] **حقّ الضعيفين: اليتيم والمرأة**»[2].

٢ - وعن عامر بن الأحوص ﷺ أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، وذَكّر ووعظ ثم قال: «**استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهنَّ عندكم عوانٍ، ليس تملكون منهنّ شيئاً غير ذلك**»[3].

٣ - وعن أنس ﷺ قال: إن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيتِ أُمّ سُليم إلا على أزواجه، فقيل له. فقال: «**إني أرحمها، قُتل أخوها معي**»[4].

النوع الثامن: رحمتهُ ﷺ للأرملة والمسكين :

١ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار**»، ولفظ مسلم: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالقائم لا يفتر، والصائم لا يفطر**»[5].

٢ - عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ

---

(١) أحرّج: أي أضيقه وأحرمه على من ظلمهما. النهاية في غريب الحديث، ٣٦١/١ .

(٢) ابن ماجه، كتاب الأدب، باب حق اليتيم، برقم ٣٦٧٨، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢٩٨/٢ .

(٣) ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق المرأة على زوجها، برقم ١٨٥١، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١٢٠/٢ ، ورواه الترمذي أيضاً، والنسائي، كتاب مواقيت الصلاة، ذكر نهي النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وانظر: إرواء الغليل، برقم ١٩٩٧ .

(٤) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، برقم ٢٨٤٤، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ١٦١/٦ .

(٥) البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، برقم ٥٣٥٣، ٦٠٦، ٦٠٧ ، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ، برقم ٢٩٨٢ .

الذّكر، ويُقِلُّ اللّغْوَ، ويُطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين يقضي له الحاجة[1].

٣ - عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجهِ رسول الله ﷺ على المنبر، فما نزل حتى جيّش[2] كل ميزاب بالمدينة، فأذكر قول الشاعر:

ثِمَالُ[3] اليتامى عصمة للأرامـــل وأبيض يُستسقى الغمام بوجهـــه

وهو قول أبي طالب[4].

وهو قول أبي طالب[4].

والأرملة: المرأة التي مات زوجها، والأرمل الرجل الذي ماتت زوجته، وسواء كانا غنيين أو فقيرين، ويُقال لكلِّ واحدٍ من الفريقين على انفراده: أراملُ، وهو بالنساء أخصّ وأكثر استعمالاً[5]؛ ولهذا

(١) النسائي، كتاب الجمعة، باب ما يستحب من تقصير الخطبة، برقم ١٤١٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٤٥٦/١ .

(٢) جيّش: أي تَدَفَّقَ وجرى الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (جيش)..

(٣) ثمال: أي الملجأ والغياث. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (ثمل).

(٤) ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء، برقم ١٢٧٢، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣٨٢/١ ، وأخرجه البخاري تعليقاً وموصولاً، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، برقم ١٠٠٨، ١٠٠٩، وبهذا قوّاه الحافظ ابن حجر، انظر: صحيح ابن ماجه، ٣٨٢/١.

(٤) ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء، برقم ١٢٧٢، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣٨٢/١ ، وأخرجه البخاري تعليقاً وموصولاً، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، برقم ١٠٠٨، ١٠٠٩، وبهذا قوّاه الحافظ ابن حجر، انظر: صحيح ابن ماجه، ٣٨٢/١.

(٥) النهاية في غريب الحديث، ٦٦/٢ .

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ : (لئن سلّمَني الله تعالى لأَدَعَنَّ أرامل العراق لا يحتجن إلى رجلٍ بعدي أبداً)[1].

فاتضح من الأحاديث آنفة الذكر أن رسول الله ﷺ كان يرحم الأرامل والمساكين، ويَحُثّ على العناية بهم، وسدِّ حاجاتهم، فصلوات الله وسلامه عليه.

٤ - عن أمِّ بُجيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أنها قالت: يا رسول الله صلى الله عليك: إن المسكين ليقومُ على بابي فما أجد له شيئاً أعطيه، فقال لها رسول الله ﷺ : «**إن لم تجدي له شيئاً تُعطينه إيّاه إلا ظلفاً مُحرَّقاً فادفعيه إليه في يده**»[2]، وهذا فيه رحمة النبي ﷺ بالمساكين وحثّه على إطعامهم، على حسب القدرة والاستطاعة رحمةً بهم، وشفقةً عليهم.

النوع التاسع: رحمته ﷺ لطلاب العلم والشفقة عليهم:

١ - عن أبي سعيد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا: مرحباً مرحباً بوصية رسول الله ﷺ ، وأقنوهم**» قلت للحكم: ما أقنوهم؟ قال: علّموهم[3].

٢ - عن مالك بن الحويرث ﷺ قال: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة، برقم ٣٧٠٠ .

(٢) أبو داود، كتاب الزكاة، باب حق السائل، برقم ١٦٦٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٤٦٤/١ .

(٣) الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الاستيصاء بمن يطلب العلم، برقم ٢٦٥٠، ٢٦٥١، وابن ماجه، المقدمة، باب الوصاة بطلبة العلم، برقم ٢٤٧، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه ٩٨/١ .

رحيماً رفيقاً، فلما ظنّ أنّا قد اشتهينا أهلنا أو قد اشتقنا [وفي رواية: فلما رأى شوقنا إلى أهالينا] سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: «**ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم، وعلّموهم، ومروهم،... وصلُّوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذّن لكم أحدُكم وليؤمُّكم أكبرُكُم**»[1]، وهذا فيه شفقة النبي ﷺ ورحمته لطلاب العلم.

النوع العاشر: رحمة النبي ﷺ للأسرى :

عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**فُكُّوا العاني** -يعني الأسير- **وأطعموا الجائع، وعُودوا المريض**»[2]، وهذا الحديث فيه رحمة النبي ﷺ للأسرى المسلمين، والأمر بفَكِّهم، والأمر بإطعام الجائع، وعيادة المريض.

النوع الحادي عشر: رحمة النبي ﷺ للمرضى والشفقة عليهم:

١ - عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حقّ المسلم على المسلم ستّ**» قيل: ما هُنّ يا رسول الله؟ قال: «**إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**»[3].

٢ - عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع**» قيل: يا رسول الله! وما خرفة

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، برقم ٦٢٨، وباب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، برقم ٦٣١ .

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، برقم ٣٠٤٦ .

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، برقم ١٢٤٠، ومسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، برقم ٢١٦٢، واللفظ له.

الجنة؟ قال: «**جناها**»[1].

٣ - عن علي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم يعودُ مسلماً غدوة إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يُمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُصبح، وكان له خريفٌ في الجنة**»[2].

٤ - عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**مَن عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلاّ عافاه الله من ذلك المرض**»[3].

وهذه الأحاديث فيها الرحمة الظاهرة من النبي ﷺ بالمرضى، ورغبته العظيمة في نفعهم وشفائهم، وترغيبه لأمته في العناية بالمرضى وإدخال السرور عليهم.

النوع الثاني عشر: رحمتهُ ﷺ للحيوان، والطير، والدواب:

١ - في حديث أبي هريرة أن رجلاً وجد كلباً يأكل الثرى من العطش، فسقاه فغفر الله له، قالوا: يا رسول الله! وإنَّ لنا في البهائم أجراً؟ قال: «**في كُلِّ كبدٍ رطبة أجر**» وفي لفظ للبخاري: «**فشكر الله له**

---

(١) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل عيادة المريض، برقم ٢٥٦٨ .

(٢) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض برقم ٩٦٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/٤٩٧ .

(٣) أبو داود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، برقم ٣١٠٦، والترمذي، كتاب الطب، باب حدثنا محمد بن المثنى، برقم ٢٠٨٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٣١٦٠ .

فأدخله الجنة»[1].

٢ - عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**غُفِرَ لامرأة مومسةٍ مرَّت بكلبٍ على رأس ركيّ كاد يقتله العطش، فنزعت خُفَّها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغُفر لها بذلك**»[2].

٣ - عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**عُذِّبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولاسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»[3].

٤ - عن أنس ﷺ ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يغرس غرساً أو زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان له به صدقة**»[4].

٥ - عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رجلاً أضجع شاةً وهو يحدُّ شفرته،فقال النبي ﷺ:«**أَتُريدُ أن تُميتَها موتاتٍ هَلاَّ أحددتَ**

---

(١) البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً، برقم ١٧٣، وكتاب المظالم، باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذ بها، برقم ٢٤٦٦، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، برقم ٢٢٤٤ .

(٢) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، برقم ٣٣٢١، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، برقم ٢٢٤٥.

(٣) البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، برقم ٢٣٦٥ ، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، برقم ٣٤٨٢، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، برقم ٢٢٤٣ .

(٤) البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، برقم ٢٣٢٠، ومسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب فضل الغرس والزرع، برقم ١٥٥٢ .

شفرتك قبل أن تُضْجِعَهَا؟»[1].

٦ - وعن شداد بن أوس ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبْحَةَ، وليُحِدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**»[2].

٧ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يرفعه قال: «**من قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقِّها [إلا سأله] الله ﷻ عنها يوم القيامة**» قيل: يا رسول الله فما حقُّها؟ قال: «**أن تذبحها فتأكلها ولا تقطع رأسها فَيُرمى بها**»[3]، وسمعت سماحة شيخنا ابن باز رحمه الله يقول: «قتل العصفور لا يجوز إذا كان للتلاعب، أما من قتله؛ لأكله أو الصدقة به فلا بأس»[4].

٨ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنه مرَّ بصبيانٍ من قريش قد نصبوا طيراً أو دجاجةً يترامونها، وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئةٍ من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرَّقوا فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا؛ إن رسول الله ﷺ : «**لعن من اتخذ شيئاً فيه الروحُ**

---

(١) الحاكم، ٢٣٣/٤، وصححه على شرط الشيخين، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ٣٣/٤، وقال: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٥٥٢/٢ .

(٢) مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، برقم ١٩٥٥ .

(٣) النسائي، كتاب الصيد والذبائح، إباحة أكل العصافير، برقم ٤٤٤٥، ٢٣٩/٧، والحاكم، ٢٣٣/٤، وصححه ووافقه الذهبي، وما بين المعقوفين له، وحسّنه الألباني في صحيح الترغيب، ٥٥٢/٢ .

(٤) سمعته أثناء تقريره على سنن النسائي، الحديث رقم ٤٤٤٥ .

غرضاً»[1] [2].

٩ - وعن ابن مسعود ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرةً[3] معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمَّرةُ فجعلت تَفرش [أي تُرَفرِفُ بجناحيها وتقرب من الأرض] فجاء النبي ﷺ فقال: «**من فَجعَ هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها**» ورأى قرية نملٍ[4] قد حرَّقناها فقال: «**مَن حرَّق هذه؟**» قلنا: نحن، قال: «**إنه لا ينبغي أن يُعَذِّب بالنار إلا ربُّ النار**»[5].

١٠ - وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ مَرَّ على حمارٍ قد وُسِمَ في وجهِهِ فقال: «**لعن الله الذي وسمه**»[6] [الوسم الكي بحديدة].

١١- وعنه ﷺ : نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجهِ، وعن الوسم في الوجه[7].

---

(١) الغرض: بفتح الغين المعجمة والراء: هو ما ينصبه الرماة يقصدون إصابته من قرطاس ونحوه. [الترغيب والترهيب للمنذري، ١٥٣/٣].

(٢) البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب ما يُكره من المُثْلَةِ والْمَصْبُورَةِ والمُجْثِّمَةِ، برقم ٥٥١٥، ومسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم، برقم ١٩٥٨ بلفظه .

(٣) حُمَّرةٌ: بضم الحاء وتشديد الميم، وقد خُفِّف: طائر صغير، كالعصفور أحمر اللون. [النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٤٣٩/١].

(٤) قرية نملٍ: موضع النمل مع النمل. [رياض الصالحين بعد الحديث رقم ١٦١٣].

(٥) أبو داود، كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار، برقم ٢٦٧٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١٤٦/٢.

(٦) مسلم،كتاب اللباس والزينة،باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه،ووسمه فيه،برقم ٢١١٧ .

(٧) مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه، ووسمه فيه، =

١٢ - وعن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، وفيه: فدخل رسول الله ﷺ حائطاً لرجلٍ من الأنصار فإذا جملٌ فلمَّا رأى النبيَّ ﷺ حَنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه[١] فسكت، فقال: «**من ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**» فجاء فتىً من الأنصارِ فقال: لي يا رسول الله، فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمةِ التي ملَّكَكَ الله إيَّاها؛ فإنه شكا إليَّ أنَّك تُجيعه وتُدئبُهُ**»[٢]. [٣]

وهذه نماذج يسيرة من أنواع رحمة النبي ﷺ ؛ لأعدائه، وأحبابه، والمسلم، والكافر، والذكر والأنثى، والصغير، والكبير، والإنس، والحيوان، والطير، والنمل، وغير ذلك كثير لا يحصر في مثل هذا المقام. فصلوات الله وسلامه عليه ما تتابع الليل والنهار.

النوع الثالث عشر: رقة قلبه ﷺ وبُكاؤه في مواطن كثيرة:

لم يكن النبي ﷺ يبكي بشهيقٍ ورفع صوتٍ، كما لم يكن ضحكه قهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تَهمُلا ويُسْمَعُ لصدره أزيز، وكان بكاؤه تارة رحمة للميت، وتارة خوفاً على أمته وشفقة عليها،

= برقم ٢١١٦ .

(١) ذفراه: ذفرا البعير بكسر الذال المعجمة مقصور: هي الموضع الذي يعرق في قفا البعير عند أذنه، وهما ذفران. [الترغيب والترهيب للمنذري، ١٥٧/٣].

(٢) تُدْئِبُهُ: بضم التاء ودال مهملة ساكنة، بعدها همزة مكسورة، وباء موحدة: أي تتعبه بكثرة العمل. [الترغيب والترهيب للمنذري، ١٥٧/٣].

(٣) أحمد، ٢٠٥/١، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ، برقم ٢٥٤٩، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١١٠/٢.

وتارة من خشية الله تعالى، وتارة عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياقٍ ومحبةٍ وإجلالٍ[1].

ومن الحالات التي بكى فيها النبي ﷺ ما يأتي:

١ - **بكاؤه ﷺ من خشية الله** في صلاة الليل، فقال بلال: يا رسول الله لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليّ الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**»[2].[3]

٢ - **بكاء النبي ﷺ** في الصلاة من خشية الله تعالى، فعن عبد الله بن الشخِّير قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولصدره أزيز كأزيز المِرجل من البكاءِ[4].

٣ - **بكاء النبي ﷺ** عند سماع القرآن، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ عليَّ القرآن**» فقلت: يا رسول الله! أقرأ عليك؛ وعليك أُنزل؟ فقال: «**نعم، فإني أُحِبُّ أن أسمعه من غيري**» قال ابن مسعود: فافتتحتُ سورة النساء فلما بلغت: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾[5]، فإذا

---

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ١/١٨٣ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠ .

(٣) ابن حبان في صحيحه، برقم ٦٢٠، وقال شعيب الأرنؤوط: ((إسناده صحيح على شرط مسلم))، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٦٨: ((وهذا إسناد جيد)).

(٤) أبو داود، كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة، برقم ٩٠٤، وصححه الألباني في مختصر شمائل الترمذي، برقم ٢٧٦ .

(٥) سورة النساء، الآية: ٤١ .

عيناه تذرفان[1].

٤ - **بكاء النبي ﷺ عند فقد الأحبة**، بكى النبي ﷺ عند موت ابنه إبراهيم، فجعلت عيناه تذرفان، فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يا ابن عوف! إنها رحمة... إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربُّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[2].

٥ - **بكاء النبي ﷺ عند وفاة إحدى بناته**، قيل: هي أُمُّ كلثوم زوجة عثمان بن عفان رضي الله عن الجميع، فعن أنس رضي الله عنه قال: شهدنا بنتاً للنبي ﷺ قال: ورسول الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان، فقال: «**هل فيكم أحد لم يُقارف الليلة؟**» فقال أبو طلحة: أنا، قال: «**فانزل في قبرها**» قال: فنزل في قبرها فقَبَرها[3].

٦ - **وبكى ﷺ عند موت** ابنة له أيضاً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ ابنة له تقضي[4] فاحتضنها فوضعها بين يديه فماتت وهي بين يديه، فصاحت أُمُّ أيمن، فقال: يعني رسول الله ﷺ : «**أتبكين عند رسول الله؟**» فقالت: ألست أراك تبكي؟ قال: «**إني لست**

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، برقم ٤٥٨٢، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطالب القراءة من حافظه للاستماع، والبكاء عند القراءة والتدبر، برقم ٨٠٠ .

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: (إنا بك لمحزونون)، برقم ١٣٠٣، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك، برقم ٢٣١٥ .

(٣) البخاري، برقم ١٢٨٥، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه)، وباب من يدخل قبر المرأة، برقم ١٣٤٢ .

(٤) تقضي: تشرف على الموت، فيقال: قَضَى فلان يريد قد مات ومَضى. انظر: لسان العرب، ١٥ / ١٨٦.

أبكي إنما هي رحمة، إن المؤمن بكل خير على كلِّ حال، إنَّ نفسه تُنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله ﷻ»[1].

٧ - **وبكى ﷺ عند وفاة** أحد أحفاده، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلَتْ بنتُ النبيِّ ﷺ [2]: إنَّ ابني قد احتُضِرَ فاشْهَدنا، فأرسل يُقرِئُ السلام ويقول: «**إنّ لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى، فلتصبر ولتحتسب**» فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينّها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأُبَيّ ابن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال رضي الله عنهم، فرُفِعَ إلى النبي ﷺ الصبيُّ، فأقعده في حجره ونفسه تقعقع، قال: كأنها شَنّ، وفي رواية: (تقعقع[3] كأنها في شنٍّ[4]، ففاضت عيناه) فقال سعد: يا رسولَ الله ما هذا؟ قال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده**» وفي رواية: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب مَن شاء من عباده، إنما يرحم الله من عباده الرُّحماءُ**»[5].

٨ - **بكى النبي ﷺ عند موت** عثمان بن مظعون،فعن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقَبِّل عثمان بن مظعون وهو ميّتٌ حتى رأيت الدموع تسيل. ولفظ الترمذي: (أن النبي ﷺ قَبّل عثمانَ بن

---

(١) أحمد، ١/٢٦٨، والترمذي في الشمائل، برقم ٣٢٤، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، برقم ٢٧٩ .

(٢) قيل: إنها زينب رضي الله عنها؛ بنت رسول الله ﷺ .

(٣) تقعقع: تضطرب وتتحرك. النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ١٣٤.

(٤) الشن: القربة البالية. انظر: فتح الباري، ١/ ١٤٠.

(٥) البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، برقم ١٢٨٤، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم ٩٢٣ .

مظعون، وهو ميّتٌ وهو يبكي، أو قال: عيناه تذرفان)[1].

٩ - **بكى ﷺ على شهداء مؤتة**، فعن أنسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «**أخذ الرّايةَ زيدٌ فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، - وعيناه تذرفان- حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فُتِح عليهم**»[2].

١٠- **بكى ﷺ عند زيارة قبر أمه**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أَزورَ قبرها فَأذِنَ لي، فزورُوا القبور فإنها تذكركم الموت**»[3].

١١ - **بكى ﷺ عند سعد بن عبادة** وهو مريض، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف،وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه وجده في غاشية أهله[4]، فقال: «**قد قضى؟**» قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بَكَوْا، فقال: «**ألا تسمعون؟ إن الله لا يُعذّب بدمع العين ولا**

---

(١) أبو داود، كتاب الجنائز، باب تقبيل الميت، برقم ٣١٦٣، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في تقبيل الميت، برقم ٩٨٩، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في تقبيل الميت، برقم ١٤٥٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٨٩/٢ .

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، برقم ٤٢٦٢ .

(٣) مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، برقم ١٠٨ - (٩٧٦).

(٤) غاشية أهله: أي الذين يغشونه للخدمة وغيرها [فتح الباري لابن حجر، ١٧٥/٣].

بحزن القلب، ولكن يُعذب بهذا»[1] — وأشار إلى لسانه — «**أو يرحم...**»[2] الحديث[3].

١٢ - **بكى ﷺ عند القبر**، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كُنّا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى حتى بَلَّ الثَّرى ثم قال: «**يا إخواني! لِمِثْلِ هذا فأعِدُّوا**»[4].

١٣ - **بكى ﷺ في ليلة بدر** وهو يصلي يناجي ربه ويدعوه حتى أصبح، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: ما كان فينا فارس يوم بدرٍ غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرةٍ يُصلّي ويبكي حتى أصبح[5].

١٤ - **بكى ﷺ في صلاة الكسوف**، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: انكسفتِ الشمس يوماً على عهد رسول الله ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ يُصلّي، ثم سجد فلم يكد يرفع رأسه، فجعل ينفخ ويبكي، وذكر الحديث، وقال: فقام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**عُرِضَتْ عليَّ النار فجعلت أنفخها، فخفت أن تغشاكم**» وفيه: «**ربِّ ألم**

---

(١) ولكن يعذب بهذا: أي إن قال: سوءاً. [فتح الباري ٣/١٧٥].

(٢) أو يرحم: أي إن قال خيراً. [فتح الباري ٣/١٧٥].

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، برقم ١٣٠٤، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم ٩٢٤ .

(٤) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، برقم ٤١٩٥، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣/٣٦٩، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٧٥١. وكذلك أخرجه أحمد، ٤/٢٩٤.

(٥) ابن خزيمة، برقم ٨٩٩، ٢/٥٣، وأحمد ٢/ ٢٩٩، برقم ١٠٢٣، وصحح إسناده الألباني والأعظمي في صحيح ابن خزيمة، ٢/٥٢ .

تعدني ألا تُعذّبهم»[1].

١٥ - **بكى ﷺ لقبوله الفداء** في أسرى معركة بدر، ففي حديث عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب ﷺ: (... فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء؟**» فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنوا العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فديةً فتكون لنا قوةً على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ : «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**» قال: قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكرٍ، ولكني أرى أن تُمكِّنَّا فنضرب أعناقهم، فتُمكِّن علياً من عقيلٍ فيضربُ عُنقه، وتُمكِّنِّي من فلانٍ - نسيباً لعمر - فأضربَ عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدُها، فَهَوِيَ رسولُ الله ﷺ ما قال أبو بكرٍ، ولم يَهْوَ ما قُلْتُ، ولَمّا كان مِنَ الغَدِ جئتُ فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله! أخبرني من أيّ شيءٍ تبكي أنت وصاحبُك؟ فإن وجدتُ بُكاءً بكيت، وإن لم أجد بُكاءً تباكيتُ لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ : «**أبكي للذي عرض عليَّ أصحابُك من أخذهم الفداء، لقد عُرِضَ عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة**» شجرةٍ قريبةٍ من نبيّ الله ﷺ ، وأنزل الله ﷻ: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ**[2] **فِي الْأَرْضِ** إلى قوله: **فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا**﴾[3]،

---

(١) ابن خزيمة في صحيحه، برقم ٩٠١، وقال الألباني والأعظمي: إسناده صحيح، انظر: صحيح ابن خزيمة، ٥٣/٢، وصححه الألباني في مختصر شمائل الترمذي برقم ٢٧٨ .

(٢) يثخن في الأرض: يُكثر القتل والقهر في العدوِّ. شرح النووي ٨٧/١٢ .

(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧ – ٦٩ .

فأحلّ الله الغنيمة لهم)[1].

١٦ - **بكى النبيُّ ﷺ شفقة على أمته**، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنّ النبيَّ ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾[2] الآية، وقال عيسى عليه السلام: ﴿**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[3] الآية، فرفع يديه وقال: «**اللَّهم أُمّتي أُمّتي**» وبكى، فقال الله ﷻ: «**يا جبريل اذهب إلى محمد وربُّك أعلم فسله ما يُبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل: إنَّا سَنُرضيك في أُمَّتك ولا نسوءك**»[4].

ثالثاً: تلطفه ﷺ بالأطفال وإدخال السرور عليهم

وَصَلَ النبيُّ ﷺ إلى الدرجة العليا في الكمال البشري في جميع المجالات، ومن هذه الأخلاق العظيمة أخلاقه مع الأطفال التي ضرب فيها المثل الأعلى، ولا يصل إلى درجته أحد من خلق الله تعالى، لا علماء النفس، ولا غيرهم؛ ولكن مع ذلك المسلم يُلْزِمُ نفسه على حسب قدرته بالاقتداء بالنبي ﷺ، ومن هذا تلطفه ومداعبته الكريمة للأطفال، ومن ذلك على سبيل المثال والإيجاز ما يأتي:

---

(١) مسلم،كتاب الجهاد والسير،باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، برقم ١٧٦٣ .

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦ .

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٨ .

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم، برقم ٢٠٢ .

المثال الأول: مداعبته ﷺ محمود بن الرُّبيع :

قال محمود ﷺ : «عَقلتُ من النبي ﷺ مَجَّةً مجَّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلوٍ»[1]، وقوله ﷺ : عقلت: أي حفظت، ومجةً: المجُّ هو إرسال الماء من الفَمِ، ولا يُسمَّى مجًّا إلا إذا كان عن بُعدٍ، وفعل ذلك ﷺ إمَّا مداعبةً أو ليُبارك عليه كما كان ذلك شأنه مع أولاد الصحابة[2]، قال شيخنا ابن باز رحمه الله: وهذا من باب المداعبة وحسن الخلق[3].

المثال الثاني: ملاطفته ومداعبته ﷺ لجملة من الأطفال:

عن جابر بن سَمُرة ﷺ ، قال: «صليتُ مع رسول الله ﷺ صلاة الأُولى ثم خرج إلى أهله وخرجتُ معه، فاستقبلهُ وِلدانٌ فجعل يمسح خدَّيْ أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدَّيَّ فوجدت لِيَدِهِ برداً أو ريحاً، كأنما أخرجها من جؤنة عطّار»[4]، والجؤنة: السفط الذي فيه متاع العطار.

المثال الثالث: ملاطفته ﷺ الحسن والحسين في مواقف كثيرة:

١ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابسٍ التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من

(١) البخاري، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير، برقم ٧٧، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، برقم ٢٦٥ - (٣٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر، ١/١٧٢.

(٣) سمعته منه أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم ٧٧.

(٤) مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ، ولين مسه، والتبرك بمسحه، برقم ٢٣٢٩.

لا يَرْحم لا يُرحم»[1].

٢ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: تُقَبّلون صبيانكم فما نُقَبّلُهُم، فقال النبيُّ ﷺ: «**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أن نَزَعَ اللهُ من قلبك الرحمة**»[2]، والمعنى: لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها الله منه[3].

٣ - والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من أحب الناس إلى النبي ﷺ، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ... وسمعتُ النبي ﷺ يقول: «**هُمَا ريحانتاي من الدنيا**»[4]، والمعنى: أنهما مما أكرمني الله وحباني به؛ لأن الأولاد يُشمّون ويُقبَّلون، فكأنهم من جملة الرياحين، وقوله «**من الدنيا**» أي نصيبي من الريحان الدنيوي[5].

٤ - وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يُصلِحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[6].

وقد أصلح الله به بين معاوية ومن معه وأتباع علي بن أبي طالب ومن معه فتنازل عن الخلافة لمعاوية فحقن الله تعالى به دماء

---

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، برقم ٥٩٩٧.

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، برقم ٥٩٩٨، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك، برقم ٢٣١٧ .

(٣) فتح الباري لابن حجر، ١٠/٤٣٠.

(٤) البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، برقم ٥٩٩٤.

(٥) فتح الباري لابن حجر، ١٠/٤٢٧.

(٦) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، برقم ٣٧٤٦.

المسلمين[1].

٥ - وعن البراء ﷺ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ والحسن بن عليٍّ على عاتقه يقول: «**اللَّهم إني أُحِبُّه فأَحِبَّه**»[2].

المثال الرابع: ركوب الصبي على ظهره ﷺ وهو ساجد:

وعن شدَّادٍ ﷺ قال: خرج النبي ﷺ إلى الناس؛ ليصلي بهم إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً فتقدَّم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة، فصلَّى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أَبِي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ، وهو ساجد، فرجعتُ إلى سجودي، فلمَّا قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله! إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظنَنّا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، قال: «**كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أُعَجِّلَهُ حتى يقضي حاجته**»[3].

المثال الخامس: محبته ﷺ لأُسامة :

عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فَيُقْعِدُني على فخذه ويُقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر ثُمَّ يضمُّهما ثم يقول: «**اللَّهم ارحمهما فإني أرحمهما**» وفي رواية: «**اللَّهم إني أُحبُّهما فأَحبَّهما**»[4].

---

(١) انظر: البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، برقم ٢٧٠٤.

(٢) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، برقم ٣٧٤٩.

(٣) النسائي، كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة، برقم ١١٤٢، وصححه الألباني في صحيح النسائي ٢٤٦/١، ومسند أحمد ٢٥/ ٤٢٠، برقم ١٦٠٣٣.

(٤) البخاري، كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ، برقم ٦٠٠٣، و كتاب فضائل =

المثال السادس: حَـمْلُهُ ﷺ بنت زينب وهو يصلي:

فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حاملٌ أمامة بنت زينب، بنت رسول الله ﷺ بنت أبي العاص، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها[1].

المثال السابع: مداعبة أم خالد باللغة الحبشية:

فعن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: «أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليَّ قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ : «**سَنَه سَنَه**» قال عبد الله الراوي: وهي بالحبشية: حسنة، قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي[2]، قال رسول الله ﷺ : «**دعها**» ثم قال: «**أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي**» قال عبد الله فبقيت حتى ذكر»[3]، والمعنى فبقيت حتى ذكر الراوي من بقائها أمداً طويلاً، وقيل: لم تعش امرأة مثلما عاشت أم خالد[4].

المثال الثامن: تخفيفه ﷺ الصلاة عند بكاء الصبي:

كان يخفف الصلاة إذا سمع بكاء الصبي رحمة لأمه وشفقة عليها

= الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، برقم ٣٧٤٧، وكتاب فضائل الصحابة، باب ذكر أسامة بن زيد رضي الله عنهما ٣٧٣٥.

(١) البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، برقم ٥١٦، وكتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم ٥٩٩٦، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة، برقم ٥٤٣.

(٢) زبرني: أي نهرني وزجرني. انظر: المصباح المنير، ١ / ٢٥٠.

(٣) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من تكلم بالفارسية والرطانة، برقم ٣٠٧١.

(٤) فتح الباري لابن حجر، ١/١٨٤.

وعليه، ﷺ ، فعن أبي قتادة، عن أبيه رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**إِنِّي لأقوم في الصلاة أريد أن أُطوِّل فيها فأسمع بكاء الصّبيّ؛ فأتجوَّز في صلاتي كراهية أن أشقّ على أُمِّه**»[(١)].

المثال التاسع: سلامه ﷺ على الصبيان:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم، وقال: كان النبي ﷺ يفعله[(٢)].

المثال العاشر: مداعبته ﷺ لأبي عُمير:

فعن أنس رضي الله عنه ، قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقاً، وكان لي أخٌ يُقال له: أبو عُمير — أحسبه فَطِيماً — وكان إذا جاء ﷺ قال: «**يا أبا عُمير ما فعل النُّغير؟**»[(٣)] نُغرٌ كان يلعبُ به، أي طير صغير كان يلعب به أبو عمير، فمات النُّغير، فرآه النبي ﷺ حزيناً على النغير، فداعبه ﷺ[(٤)].

المثال الحادي عشر: إعطاؤه ﷺ الصبي قبل الأشياخ؛ لأنه عن يمينه:

أعطى ﷺ الشراب لغلام صغير عن يمينه قبل الأشياخ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أُتِيَ النبي ﷺ بقدح فشرب منه، وعن يمينه غلامٌ أصغر القوم، والأشياخ عن يساره فقال: «**يا غلام أَتَأْذَنُ لِي أن أُعطيه**

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب الإيجاز في الصلاة وإكمالها، برقم ٧٠٧ .

(٢) البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان، برقم ٦٢٤٧، ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان، برقم ٢١٦٨.

(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، برقم ٦٢٠٣.

(٤) فتح الباري لابن حجر، ٥٨٣/١٠.

الأشياخ؟» قال: ما كنت لأوثر بفضلي منكَ أحداً يا رسول الله! فأعطاه إياه. وفي رواية: «**أَتَأْذَنُ لي أن أعطِيَ هؤلاء؟**» فقال الغلامُ: لا واللهِ يا رسول الله، لا أُوثِرُ بنصيبي منك أحداً، قال: فَتَلَّهُ رسولُ الله ﷺ في يده[1].

المثال الثاني عشر: بول الصبيان في حجره ﷺ :

فعن أمِّ قيس بنت مِحصنٍ أنها أتت بابنٍ لها لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فأجلسه رسولُ الله ﷺ في حجره، فبال على ثوبه، فدعا بماءٍ فنضحه ولم يغسله[2].

وغير هذه المواقف كثيرةٌ جداً.

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) البخاري، كتاب المساقاة (الشرب)، باب في الشرب ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوماً كان أو غير مقسوم، برقم ٢٣٥١، وكتاب المظالم، باب إذا أذن له أو أحله، ولم يبين كم هو، برقم ٢٤٥١ .

(٢) البخاري، كتاب الوضوء، باب بول الصبيان، برقم ٢٢٣.